﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: 5 - 8]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

استمرارُ الزَّجر ليزدادَ ارتداعُهم عن التَّكاثر فإنَّه أساسُ كلِّ بلاء

بعد أنْ زجرَ البيانُ القرآنيُّ الكافرين عن الانشغالِ بالتَّكاثُرِ عن طاعةِ الله، وأنَّهم سيعلمون خطأ ما هُم فيه بعد فواتِ الأوان - وهو أمرٌ صادعٌ لهم - أعادَ الزَّجرَ مرَّةً ثالثةً؛ لزيادةِ إبطالِ ما هُم عليه مِن اللّهْو، وللشِّدَّةِ في رَدعِهم عن التَّكاثر فإنَّه أساسُ كلِّ بلاءٍ، لعَلَّهم يُقلِعونَ عن انكبابِهم عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾: أصلُ (يقن) هو زوالُ الشَّكِّ، فاليَقينُ: هو العِلْمُ وتَحقيقُ الأمرِ، وهو نَقيضُ الشَّكِّ، وفي الاصْطِلاحِ: اعتِقادُ الشَّيءِ بأنَّه كذا مَعَ اعتِقادِ أنَّه لا يُمكن إلاَّ كذا، مُطابِقًا للواقِعِ غَير مُمكِنِ الزَّوالِ[2]، فاليَقينُ هو الأمرُ الثّابتُ الذي لا شكَّ يُخالجه، وهو رسوخُ العِلْم صُلبًا قويًّا في القلبِ أو أعماقِ النَّفس[3]، ويقِنَ الشَّيءُ: ثبَتَ وتحقَّقَ ووضَح، وأيقنَ مِن الأمر: علِمَهُ وتحقَّقَ منه، و(عِلمُ اليقين) هو أولى مراتبِ المعرفة، يليها مرتبة (عَينُ اليقين) ثمَّ (حقُّ اليقين)[4]، ومعنى ﴿عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ في الآية موافقٌ للمَعنى اللُّغويِّ، أي: لو تعلمون ما أمامَكُم عِلمًا يصلُ إلى القلوب، لما ألهاكُم التَّكاثر[5].

2) ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾: أصلُ (جحم) يدلُّ على الحَرارَةِ وشِدَّتِها،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (يقن).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (يقن).
(4) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (حقق).
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 933.

فالجاحِمُ المكانُ الشَّديدُ الحَرِّ، والجَحيمُ: اسمٌ مِن أسماء النّار، وكلُّ نارٍ عظيمةٍ في مَهْواةٍ فهي جَحيمٌ[1]، والمُرادُ بالجحيم في الآية: النّارُ المُؤجَّجَةُ، وتُطْلَقُ عَلَمًا على جَهَنَّم دارِ العذاب في الآخِرَة.

3) ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: هو ما أعطَتْهُ المُشاهدةُ والكشفُ[2]، وهي أعلى درجات العلم[3]، فهو اليَقينُ الَّذي لا يَشوبُهُ تَرَدُّدٌ[4]، و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: الرُّؤيةُ التي هي نفسُ اليقينِ وخالصَتُه[5]، والمعنى: لترَوُنَّ الجحيمَ رؤيةً بَصَريَّةً[6].

4) ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: أصلُ (نعم) يدلُّ على تَرَفُّهٍ وطيبِ عَيْشٍ وصلاحٍ؛ مِنهُ النِّعْمَةُ: ما يُنْعِمُ اللّه تعالى على عَبدِهِ به مِن مالٍ وعَيْشٍ[7]، وتَنَعَّمَ: تَناولَ ما فيه النِّعْمَةُ وطيبُ العَيْشِ[8]، والنَّعيمُ: ما به التذاذُ النَّفْسِ باللَّذّاتِ المَحسوسةِ، وهو أخَصُّ مِن النِّعْمَةِ[9]، والمُرادُ بـ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ في الآيةِ: اسمٌ لكلِّ ما يَلِذُّ لإنسانٍ مِمّا لَيسَ مُلازِمًا لَهُ، كشُربِ الماءِ وأكْلِ الطَّعامِ والتَّلَذُّذِ بالمَسموعاتِ وبما فيه فخْرٌ وبِرُؤيَةِ المَحاسِنِ[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّحذيرُ مِن يوم الحساب ورؤيةِ الجحيم

يقولُ تعالى ذِكرُه ما حاصلُه: ما هكذا ينبغي أنْ تفعلوا أيُّها الناس، أنْ يُلهيَكُم التَّكاثر، لو تَعلَمونَ عِلمًا يقينيًّا أنَّ اللّه باعِثُكُم يومَ القيامةِ مِن بعد مَماتِكم مِن قبوركم، ما ألهاكُم التَّكاثُرُ عن طاعةِ اللّه، ولَسارَعتُم إلى عِبادته، والانتهاءِ إلى أمرِه ونهيِه، ورفضِ الدُّنيا

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (جحم).
(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 249.
(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (يقن).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 676.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 933.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(8) ابن دريد، جمهرة اللغة: (نعم).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/ 150.
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 524.

إشفاقًا على أنفُسِكُم مِن عُقوبته، ثمَّ أُقسِمُ إنَّكم سترَوُنَ جهنَّمَ في الآخِرةِ عند المرورِ عليها، أو رؤيةً دائمةً متَّصلةً، وأُقسِمُ إنَّكم سترَونَها عيانًا رُؤيةً حقيقيَّةً مُؤكَّدةً، ثُمَّ أُقسِمُ: لَيَسألنَّكمُ اللهُ ﷻ عن النَّعيم الذي كنتُم فيه في الدُّنيا ماذا عمِلتُم فيه، من أينَ وصَلتُم إليه، وفيمَ أصَبتُموهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ تكرارِ لفظِ الزَّجر ﴿كَلَّا﴾:

إعادةُ الزَّجرِ بـ﴿كَلَّا﴾ مرَّةً ثالثةً في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ يَزيدُ توكيدَ سوءِ مَغبَّةِ ما هم عليه عُمقًا ورهبةً، وتلويحًا بما وراءَهُ مِن أمرٍ ثقيلٍ، لا يتبيَّنونَ حقيقتَهُ الهائلة في غَمْرةِ الاستكثار، إنذارًا وتخويفًا؛ ليبطلَ ما هم عليه مِن اللَّهْو عن التَّدَبُّرِ في أقوالِ القُرآنِ، لعَلَّهم يُقلِعونَ عن انكِبابِهم على التَّكاثُرِ[2]، وإنَّما حسُنتِ الإعادة لأنَّه عَقَّبَهُ في كلِّ موضعٍ بغير ما عقَّبَ به الموضعَ الآخر، كأنَّه تعالى قال: (لا تفعلوا هذا فإنَّكم تستحقّون به مِن العذابِ كذا، لا تفعلوا هذا فإنَّكُم تستوجبون به ضررًا آخر)[3]، أو لِكَونِ الأمرِ صادعًا فلا يكفي التَّأكيدُ بمَرَّةٍ واحدة، وليكونَ هذا التَّكرير مُردِّدًا للأمر بين تأكيدِ الرَّدع ثالثًا بالأداة الصّالحة له؛ وبين أن تكون بمعنى: (حقًّا)، كما يقوله أئمةُ القراءة، ليشتدَّ ارتداعُهم عن التَّكاثر فإنَّه أساسُ كلِّ بلاء[4].

مبالغةٌ في إبطالِ ما عليهِ المُشركون من اللّهْو والانكبابِ على التَّكاثر

بلاغةُ حذفِ جواب ﴿لَوْ﴾:

جَوابُ ﴿لَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ محذوفٌ، والتَّقدير: (لَشغَلَكُم ذلك عن التَّكاثُرِ والتَّفاخُرِ)، أو:

الحذفُ تفخيمٌ لليقين وتهويلٌ وإزعاجٌ للّاهين

(1) ابن جرير، جامع البيان: 24/ 581، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 174.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 272.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 272، والبقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.

(لَفعَلْتُم ما يَنفعُكم من الخَيرِ، وترَكْتُم ما لا يَنفَعُكم مِمّا أنتم فيه)[1]، وحَذفُ هذا الجواب بعد حذفِ المفعول للتَّفخيم، فهو إشارةٌ إلى أنَّه لا يقينَ غيرُه، والمعنى أنَّ أعمالَكُم أعمالُ من لا يَتيقَّنه[2]، وللتَّهويل والإزعاج للّاهين؛ لأنَّ حذْفَ الجواب جعَل النُّفوسَ تَذهَبُ في تَقديرِه كلَّ مَذهبٍ مُمكِنٍ، وهذا باعتبار كونِ التَّقدير: (لَتَبيَّنَ لكُم حالٌ مُفظِعٌ عظيم، أو لَفَعلْتُم ما لا يوصَفُ ولا يُكتَنهُ)؛ لكونِ الجملة بيانًا لِما في ﴿كَلَّا﴾ من الزَّجر[3].

سِرُّ تكرارِ الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ودلالتُه على الحال:

تـأكـيـدُ جَـهـلِ الـكـافـريـن وغـفـلـتِـهـم عن عِـلـمِ هـمُ الآنَ أحوَجُ ما يكونونَ له

في تكرير الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ توكيدٌ لجَهلِهم وغَفلتِهم عن الحقيقةِ المَطويَّة الرَّهيبة، وهي دخولُهُم الجَحيمَ، ومجيءُ الفعل بصيغةِ المُضارَعةِ مرادٌ به زمنَ الحال، لبيانِ ما هُم عليه الآنَ من سوءِ هذه الحال والجهلِ المركَّب من أوهامٍ وتخيُّلاتٍ، والمعنى: (لو عَلِمتُم الآنَ ما بين أيديكُم عِلْمَ اليقين لَعَلِمتُم أمرًا عظيمًا، ولكنَّكم ضُلّالٌ جهَلةٌ)[4].

دلالة تعريف (علم) بالإضافة:

وصـفُ الـعـلـمِ وتـمـيـيـزُه بالمُطابقة للواقع

إضافةُ العِلم إلى اليقين في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةٌ بيانيَّةٌ؛ أي: (لو عَلِمْتُم علمًا مطابقًا للواقع لَبانَ لكم شَنيعُ ما أنتم فيه، فلم يُلْهِكُم التَّكاثرُ)، ولكنَّ علمَهُم بأحوالِهم جهلٌ مركَّبٌ من أوهامٍ وتخُّيلات، وفي هذا نداءٌ عليهم بالتَّقصير في اكتسابِ العلمِ الصَّحيح، وهذا خطابٌ للمشركين الذين لا يُؤمنون بالجزاء، وليس خطابًا للمسلمين؛ لأنَّ المسلمين يَعلمونَ ذلك عِلمَ اليقين[5]، وهذه الإضافةُ من إضافةِ المَوصوفِ إلى صِفَتِه، أي: العِلمَ اليَقينَ،

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 597.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 230.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 30/ 521.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 675، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.

وفائِدةُ الوَصْفِ ظاهِرةٌ بناءً على أنَّ العِلْمَ يُطلَقُ على غير اليَقين، فرُفِعَ مَجازُه بالإضافة[1]، أو من إضافةِ العِلم إلى المفعول، واليَقينُ بمعنى المُتيَقَّن، صِفةٌ لمُقَدَّرٍ، والتَّقدير: (لو تَعْلَمونَ ما بَيْنَ أيديكُم عِلْمَ الأمرِ المُتيَقَّنِ، أي: كعِلْمِكُم ما تَسْتَيقِنونَه مِنَ الأُمورِ)[2].

علَّة فصلِ جملةِ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾:

يترقَّبُ اللّاهين عذابٌ شديدٌ

جاءتْ جملةُ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ استِئنافًا بَيانيًّا؛ لأنَّ ما سَبَقَهُ مِن الزَّجرِ والرَّدعِ المُكرَّرِ، ومِن الوعيدِ المُؤكَّدِ على إجمالِه، يُثيرُ في نفْسِ السّامعِ سُؤالًا عمّا يُترقَّبُ مِن هذا الزَّجرِ والوَعيدِ، فكان قولُه: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ جَوابًا عمّا يَجيشُ في نفْسِ السّامعِ[3]، وهو جَوابُ قسَمٍ مَحذوفٍ أُكِّدَ به الوعيدُ، وأوضِحَ به ما أَنْذَرَهم منه بعْدَ إبهامِه تَفخيمًا[4].

معنى اللّام في ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

قَسَمٌ إلهيٌّ مؤكِّدٌ لحقيقةِ دخولِهم الجَحيم

ليستِ اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ لامَ جوابِ ﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ لأنَّ جوابَ ﴿لَوْ﴾ مُمتنِعُ الوقوع، فلا تَقترنُ به نونُ التَّوكيد؛ ولأنَّ نظمَ الكلام صيغةُ قَسَم؛ بدليلِ اقترانِه بنونِ التَّوكيد[5]، والقَسَمُ لتوكيدِ الوعيد، وأنَّ ما أُوعِدوا به ما لا مدخلَ فيه للرَّيب[6]، ولأنَّه لو كان ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ جوابًا للشَّرط، كانتِ الرُّؤيةُ أمرًا مَشكوكًا فيه، وهذا باطل[7]، فالرُّؤيةُ أمرٌ واقعٌ قطعًا، معطوفٌ عليها أمرٌ واقعٌ قطعًا، وهو قولُهُ تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[8].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 537، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 453.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 196.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 792.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 272.
(8) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 556.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالرُّؤية في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

على القولِ بأنَّ الخِطابَ في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ للمُشركينَ؛ فالإخبارُ عن رُؤيتِهم الجَحيمَ كِنايةٌ عن الوُقوعِ فيها؛ فإنَّ الوُقوعَ في الشَّيءِ يَستلزِمُ رُؤيَتَه، فيُكنَّى بالرُّؤيةِ عن الحُضورِ، ولذا أُكِّدَ ذلك توكيدًا لفظيًّا بقولِه: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ قصْدًا لتَحقيقِ الوَعيدِ بمَعناهُ الكِنائيِّ[1].

الوقوعُ في الشَّيءِ وحُضورُهُ يستلزمُ رؤيَتَه

وعلى القولِ بأنَّ الخِطابَ عامٌّ في النّاسِ جميعًا فهي رؤيةٌ حقيقيَّةٌ، لا مجرَّد علمٍ ذِهنيٍّ، أي: (لتَرَوُنَّها رُؤيةَ عينٍ ومُشاهدةٍ لا خفاءَ فيها)، وفي ذلك تهديدٌ عظيمٌ وتخويفٌ بالغٌ وتفخيمٌ في الوَعيد بإيضاحِ المُتوعَّدِ به بعد إبهامِهِ مع قَسَمٍ دلَّ عليه بلامِهِ، مع التَّصوير للمُخاطَبين لحظةَ الوُقوفِ على النّارِ كأنَّها حاضرةٌ أمامَهُم الآن، فالمؤمنُ يَراها ويَنجو منها سواءً خالطَها أم لا، والكافرُ يخلدُ فيها[2].

في الإخبارِ بالمُشاهدةِ تفخيمٌ في الوعيد ومبالغةٌ في التَّهديد

سرُّ التَّعبيرِ بالفعل (ترَوُنَّ) صيغةً:

جيءَ بصيغةِ المُضارعِ المُقترنِ بلامِ القَسَمِ ونونِ التَّوكيدِ الثَّقيلة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ليدلَّ على تحقُّقِ الوقوعِ واستمرارِه؛ فالمُضارعُ يُشعِرُ بالتَّجدُّدِ والدَّوام، واللّامُ والنّون تؤكِّدانِ حتميَّةَ الرُّؤيةِ ويقينَ وقوعِها لا محالة؛ فجَمَعَ الفعلُ بين رَهْبةِ التَّوكيد وإيقاعِ المَشهَدِ الحاضرِ في النَّفس، ليَغدوَ الوَعيدُ أبلغَ وأوقع.

رهبةُ التَّوكيد وإيقاعُ المشهدِ الحاضرِ في النَّفس

القراءات الواردة في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ بِضَمِّ التَّاءِ: ﴿لَتُرَوُنَّ﴾، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، وَاتَّفَقُوا عَلَى فَتْحِ التَّاءِ فِي الثَّانِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَهَا، أَيْ تُرِيهِمْ أَوَّلًا الْمَلَائِكَةُ، أَوْ مَنْ شَاءَ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ الْكِسَائِيُّ: (إِنَّكَ

بلاغة الرؤية والإراءة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 230.

لَتُرَى أَوَّلًا، ثُمَّ تَرَى)"[1]. فحجة من ضمَّ أنه جعله فعلًا رباعيًا لم يسمَّ فاعله، فتعدَّى إلى مفعولين: أحدهما قام مقام الفاعل، مضمر في ﴿لَتَرَوُنَّ﴾، و(هم) اسم للمخاطبين. والثاني هو ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾، وحجة من قرأ بالفتح أنه جعله فعلًا ثلاثيًّا تعدَّى إلى مفعول واحد، وهو ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾، والفاعل مضمر، وهم المخاطبون، وهو مَن رأى"[2].

دلالةُ تعريف ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾:

التَّعريفُ في لفظِ ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾ للعَهدِ الذِّهنيِّ، أي: الجحيمُ المعهودُ المَعلومُ عند السّامعينَ من وعيدِ اللّه في النّار، فهو ليسَ مجهولًا، بل هو ما تكَرَّرَ ذِكرُهُ ووعيدُهُم به، فصار كأنَّه حاضرٌ في أذهانِهم؛ فهي النّارُ التي تلقَى المُعذَّبينَ بها بكراهةٍ وتغيُّظٍ وعُتوٍّ وشَديدِ تَوَقُّدٍ[3]، فضلًا عن أنَّ في التَّعريف تفخيمًا وتهويلًا لها، كأنَّها النّارُ المعروفةُ في شِدَّتِها وهَولِها التي لا تحتاجُ إلى مزيدِ وصْف.

النّارُ مَهولةٌ مَعروفةٌ في شِدَّتِها وهَولِها فلا تحتاجُ إلى مَزيدِ وصف

وجهُ العطفِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

العطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ للتَّراخي الرُّتبيِّ، فليس هنالك رُؤيَتانِ تقعُ إحداهُما بعدَ الأخرى بمُهلة، وإنَّما هو تراخي رُتبةِ هذا الزَّجرِ والوعيدِ عن رُتبةِ الزَّجرِ والوَعيدِ الذي قبله، فهذا زجرٌ ووعيدٌ مُماثلٌ للأوَّل، لكنَّ عَطْفَهُ بحرف ﴿ثُمَّ﴾ اقتضَى كونَهُ أقوى مِن الأوَّل؛ لأنَّه أفادَ تحقيقَ الأوَّل وتهويلَهُ[4]، ونلحظُ أنَّ ﴿ثُمَّ﴾ تُحقِّقُ في الآياتِ تصعيدًا تدريجيًّا من شأنِ المعنى المكرَّر كمًّا وكيفًا، فقد صعَّدتْ من درجةِ الرُّؤية والإدراك، فالرُّؤيةُ الأولى تتعلَّقُ بإظهار جهنَّم وعرضِها، والثّانية تتعلَّقُ بالتلبُّس بها وذوقِها.

التَّصعيدُ البلاغيُّ في العَطفِ؛ من عرضِ الجحيمِ إلى مُعايشَتِها

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 403.
(2) مكّي، الكشف: 2/ 387.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 230.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.

سِرُّ تكرارِ الفعل (لترَوُنَّ):

في تكرار الفعل (لترَوُنَّ) في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ توكيدٌ وتصعيدٌ في الوعيد، فالرُّؤيةُ الأولى تهديدٌ بعرضِ الجحيم وإحضارِها أمامَهُم، والرُّؤيةُ الثّانية تهديدٌ بالمُعاناة منها ومباشرتِها حقيقةً، فهي انتقالٌ مِن مجرَّد المُشاهدة إلى المعاينة والتَّلَبُّس، وهذا على اعتبارِ الخطاب للكافرين، ويرسمُ التَّكرار أيضًا تصاعُدًا بلاغيًّا في الموقف؛ فالرُّؤيةُ الأولى تهيئةٌ وتهويل، والثانيةُ تحقيقٌ وتفصيل، وفي الجمع بينهما إرهابٌ للسّامع، وتأكيدٌ على حتميَّةِ المصير، وتنبيهٌ على أنَّ ما بعدَ الموتِ ليس خبرًا يُسمَع، بل مشهدٌ يُرَى رؤيةَ يقينٍ لا ريبَ فيها.

في التَّكرار تغليظٌ في التَّهديد وزيادةٌ في التَّهويل وتأكيدٌ على حتميَّة المصير

دلالة تعريف ﴿عَيْنَ﴾ بالإضافة:

إضافةُ ﴿عَيْنَ﴾ إلى ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةٌ بيانيَّةٌ، أُضيفتِ (العينُ) إلى ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ لتُفيدَ أنَّ الرُّؤيةَ المقصودةَ هي أعلى درجاتِ الإدراك وأقواها، فهي عينُ اليقينِ نفسِه لا مجرَّد ظنٍّ أو علمٍ نظريٍّ، والمعنى: (لترَوُنَّها رؤيةً هي نفسُ اليقينِ عينًا ومشاهدةً)[1].

الرُّؤيةُ المقصودةُ هي أعلى درجاتِ الإدراك وأقواها

بلاغةُ المَجاز في لفظ ﴿عَيْنَ﴾:

لفظ ﴿عَيْنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ مجازٌ مرسلٌ عن حقيقةِ الشَّيء الخالصةِ غيرِ النّاقصةِ ولا المُشابهة[2]؛ فالمُشاهدةُ تامَّةٌ لا تَقبَلُ الشَّكَّ، كما يُقالُ: رأيتُ الشَّيءَ عَيْنًا، أي: رَأيتُه رؤيةً لا يحتملُ معها الوَهمُ، وفي هذا التَّعبير تصويرٌ حسّيٌّ بديعٌ لمَعنَى اليقين، إذْ نُقِلَ الإدراكُ الذِّهنيُّ إلى مَشهدٍ بصَريٍّ محسوسٍ، ليُقرِّبَ المَعنى إلى الأذهان، ويَزيدَ من رَهبةِ المَوقفِ ووَقعِهِ في النُّفوس، فمِن أهوالِ الخِطاب التَّهديدُ برُؤية العذاب.

مِن أهوالِ الخِطاب التَّهديدُ برُؤيةِ العذاب، وتعظيمُ وقْعِهِ في النُّفوس

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.

وجهُ العطفِ بـ﴿ثُمَّ﴾:

يُفيدُ التَّراخي تغليظَ الوَعيدِ وشِدَّةَ المُؤاخذة

عَطَفَ البيانُ الحكيمُ قولهُ تعالى ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ على ما قبلَها بحرفِ ﴿ثُمَّ﴾ الدّالِّ على التَّراخي الرُّتبيِّ في عَطْفِه الجُمَلَ مِن أجْلِ أنَّ الحِسابَ على النَّعيمِ الَّذي هو نِعمةٌ مِن اللهِ أشدُّ عليهم؛ لأنَّهم ما كانوا يَترقَّبونه؛ لأنَّ تَلبُّسَهم بالإشراكِ وهُمْ في نَعيمٍ أشدُّ كُفرانًا للَّذي أنْعَمَ عليهم[1]، والمعنى: (ثُمَّ بَعد أمورٍ طويلةٍ عظيمةٍ مَهولةٍ جِدًّا لتُسْأَلُنَّ يومَ إذْ ترَونَ الجَحيمَ عن النَّعيم)[2]، وذلك على القولِ أنَّ الخِطابَ للمُشرِكين.

معنى اللّام في ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾

القَسَمُ يَزيدُ الوعيدَ شدَّةً والنُّفوسَ خوفًا ورهبةً

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ لامُ القَسَم، وهي تدخلُ على الفعلِ المضارعِ لتدُلَّ على وجودِ قسمٍ مقدَّرٍ قبله، والتقديرُ: (وعزَّتِنا لتُسألُنَّ يومئذٍ عن النَّعيم)[3]، وجاءَ هذا الأسلوبُ في سياقٍ يتضمَّنُ التَّهديدَ الشَّديدَ والتَّخويفَ البالغَ للكافرين والمُكذِّبين، إذ يُقسِمُ اللهُ تعالى - وهو أصدَقُ القائلين - على وقوعِ هذا السُّؤالِ الحَتميِّ الذي لا مَفرَّ منه.

وأمّا تكرارُ القَسَمِ في الآياتِ السّابقة، في ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ و﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ثمَّ في ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾، فهو تصعيدٌ بلاغيٌّ تدريجيٌّ في التَّهديد والوَعيد؛ إذ ينتقلُ السّياقُ من الإخبارِ المؤكِّد إلى الإلزامِ بالقَسَم، فيشتدُّ الوعيدُ، ويزدادُ الهولُ، ويترسَّخُ في النَّفس أنَّ هذا الأمرَ حقٌّ لا مَحالةَ واقعٌ.

سِرُّ التَّعبير بالفعل ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ دلالةً وصيغةً:

مِن أهوالِ الخطابِ التَّهديدُ بالسُّؤال عند رؤيةِ العذاب

آثرَ البيانُ الحكيمُ التَّعبير بلفظِ السُّؤال ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ ولم يقلْ: (لتُعاقَبُنَّ)؛ لأنَّ السُّؤالَ أبلَغُ في التَّوبيخِ والتَّهديد؛ لأنَّه يسبقُ العقوبةَ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 524.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 231.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 231.

وفيه صورةُ المُحاسبة الدَّقيقةِ والتَّفتيشِ عن النِّعمِ وتقصيرِهِم في شُكرِها، ممّا يزيدُ الموقفَ رهبةً، فهو تهديدٌ بلسانِ المُحاسبة لا بلسانِ العقوبة، وفيه إظهارُ عدلِ الله تعالى وأنَّه لا يُعاقبُ إلّا بعدَ إقامةِ الحُجَّة وبيانِ النِّعمة والتَّقصير فيها، كما أنَّ في السُّؤال تناسُبًا مع مقامِ التَّذكير بالنِّعم، ونتيجةِ التَّشاغُلِ بها عن الله، ولأنَّ لفظَ السُّؤال يجعلُ الخطابَ مُحتملًا الكافرينَ والمؤمنين.

وقد جاء التَّعبيرُ بالفعل ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ بصيغة المضارع المؤكَّد بالنّون الثَّقيلة والمبنيِّ للمجهول للدَّلالةِ على تحقُّقِ الوقوع، أي أنَّ السُّؤالَ عن النَّعيم أمرٌ لا محالةَ كائنٌ يومَ القيامة، وللدَّلالةِ على استحضارِ مشهدِ الوقوع، وكأنَّه يَقعُ الآن، وعلى التَّركيزِ والتَّهويل لشأن فعلِ السُّؤال بعدَمِ ذِكر الفاعل وهو الله سبحانه، ممّا يَزيدُ الموقفَ رهبةً وحضورًا في نفس السّامع، ويَجعلُ الوَعيدَ حيًّا مُتجَدِّدًا لا مؤجَّلًا، أمّا التَّوكيدُ بالنّون الثَّقيلة فمُبالغةٌ في إلزامِ المُخاطَبينَ بهذا المَصير، وتغليظٌ في التَّهديد؛ لأنَّها مِن أقوَى أدَوات التَّوكيد في العربيَّة.

وفي الجمعِ بين اللّام للقَسَم والنّونِ الثَّقيلة تحقيقٌ لأقصَى درجاتِ التَّوكيد، ممّا يُبرزُ شدَّة الوَعيد الإلهيِّ، ويُشعِرُ بعَظمةِ السُّؤالِ ووجوبِ الاستعدادِ له.

فائدةُ القيد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

اقـترانُ السُّـؤالِ عن النَّعيم بيومِ رؤيةِ الجَحيم

الجُملةُ المضافُ إليها (إذْ) مِن قولِه: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مَحذوفةٌ دلَّ عليها قولُه: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾، أي: (يومَ إذ تَرَوُنَّ الجَحيمَ أيُّها الكافرون فيُغلَّظُ عليكم العَذابُ)[1]، وهذا إيجازٌ بليغٌ مع وضوحِ المعنى، وهو أيضًا يَزيدُ من رهبةِ الموقفِ وشِدَّةِ الوَعيد، لأنَّ اقترانَ السُّؤال عن النَّعيم بيوم رؤيةِ الجحيم يُضاعفُ الإحساسَ بالعقاب ويُغلِّظُه،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 524.

فيُصوِّر المَوقفَ وكأنَّهم يُسألونَ عن نَعيمِ الدُّنيا وهُم يُشاهدون في تلك اللَّحظة أهوالَ النّار، وإذا شملَ الخطابُ المؤمنينَ فيُفيدُ القيدُ تذكيرَهُم بنِعَم الله عليهِم وفضلِهِ في نجاتِهم وتشريفِهم بذلك.

معنى ﴿عَنِ﴾:

دلَّ حرفُ الجرِّ ﴿عَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ على المُجاوَزَةِ المَجازيَّة، أي: يُسألون عن نعيمِ الدُّنيا يومَ القيامة يومَ يرَونَ الجحيمَ بعد أنْ تركوهُ وتَجاوَزوهُ إلى موقفِ الحِسابِ والمُساءَلة.

دلالة تعريف ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾:

سـؤالُ النَّعيم بين المُحاسبةِ والاستهزاءِ بالكافرين، والتَّشريفِ والتَّذكيرِ للمُؤمنين

النَّعيمُ: اسمٌ لِما يلذُّ لإنسانٍ ممّا ليسَ مُلازمًا له، وتعريفُه بـ(ال) في قوله تعالى: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ للعَهدِ الذِّهنيِّ ممّا تفضَّلَ الله به على الإنسانِ من نعيمِ الدُّنيا، وهذا السُّؤالُ عن النَّعيمِ في الآية إمّا موجَّهٌ إلى المُشركين على نسقِ الخِطابات السّابقة في الآيات، أو السُّؤالُ موجَّهٌ للمؤمنين والكافرين، وهو السُّؤالُ الذي يُسألُهُ كلُّ مُنعَّمٍ عليه فيما صرَفَ فيه النِّعمة، والذي منه ما وردَ عن أبي هريرة ﷺ قال[1]: «خرَجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فإذا هو بأبي بكرٍ وعُمرَ؛ فقاما معَهُ فأتَى رجُلًا من الأنصار فإذا هو ليسَ في بيتِهِ؛ إذْ جاءَ الأنصاريُّ فنظَرَ إلى رسولِ الله ﷺ وصاحبَيهِ ثم قال: الحمدُ لله ما أحدٌ اليومَ أكرَمَ أضيافًا منّي؛ فانطلَقَ فجاءَهُم بعِذْقٍ فيهِ بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، وأخذَ المُدْيَةَ فذبَحَ لهُم، فأكَلوا من الشّاةِ ومن ذلكَ العِذْقِ وشَربوا، قال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيَدِهِ لتُسْأَلُنَّ عن نعيمِ هذا اليومِ يومَ القيامة»[2].

وغايتهُ في الآية: توبيخٌ وتهديدٌ وتخويفُ الكافرينَ من مُؤاخَذتِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 524 - 525.

(2) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: جَواز اسْتِتْباعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دارِ مَنْ يثق برضاه بذلك، رقم: 2038.

على ما في التَّكاثُر من نعيمٍ تمتَّعوا به في الدُّنيا، ولم يَشكُروا الله عليه، وتشريفُ المُؤمنينَ الطائعين[1].

وهناك مَن يَرى أنَّ النَّعيمَ المُرادَ في الآيةِ هو نعيمُ الجنَّة، وأنَّ السُّؤالَ هو سؤالُ سُخريةٍ وتبكيتٍ وتأنيبٍ وتهكُّمٍ بالكافرين، وليس سؤالَ مُحاسَبةٍ، فقد حوسِبوا ووُزِنَتْ أعمالهُم، وحُكِمَ عليهِم بدُخولِ النّارِ، وكأنَّ السُّؤالَ للمُقابلةِ بين حالتَين؛ حالةِ النَّعيم للمُؤمنين، وحالةِ العذابِ للكافرين، وكأنَّهُ يقولُ لهم: أيُّهُما أفضَلُ؟ العذابُ الذي تذوقونَهُ الآنَ في الجحيم، أم النَّعيمُ الذي فاتكُمْ بسببِ كُفرِكُم في الدُّنيا، ويتمتَّعُ به المؤمنونَ في الجنَّة؟[2].

بلاغةُ مناسبةِ آخرِ السّورةِ لأوَّلِها:

تهديدُ الغافلين بسؤالِ النَّعيم الـذي ألـهـاهُـمْ عن الشُّكر

ختمَ البيانُ القرآنيُّ السّورةَ - التي اشتمَلتْ على التَّوبيخ على لهوِهِم بالتَّكاثُر عن النَّظرِ في دعوةِ الإسلام في كلِّ آيةٍ من آياتِها من حيثُ إنَّ التَّكاثُرَ صَدَّهم عن قَبولِ ما يُنجيهِم - بتهديدٍ وتخويفٍ من مُؤاخذتِهِم على ما في التَّكاثُر من نعيمٍ تمتَّعوا به في الدُّنيا، ولم يَشكروا الله عليه؛ وذلك بقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، أي عن النَّعيمِ الذي خوَّلتُموه في الدُّنيا فلم تشكُروا الله عليه وكان بهِ بطَرُكُم[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 232.

(2) الخالدي، لطائف بلاغية: 189 - 190.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 524.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"